جهود الإمام الدريني في التفسير وعلوم القرآن

د.فهد بن إبراهيم الضالع (*)

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فإن من واجب الأمانة التي حملها المتخصصون في كل فن أن يبذلوا قصارى جهدهم ليخرجوا بالعطاء من العلم المتعلق بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن أنفس ما يمضي به الباحث وقته الإشارة إلى أئمة هذه الأمة في التفسير وعلوم القرآن فيُشهر ما طوي من تراجمهم ، وينشر ما خفي من علمهم ، ويدل الباحثين إليه ، ويوصي أولي الهمم به .

ومن أولئك العلماء الذي لهم باع في خدمة كتاب الله تعالى درسا وتدريساً ، وتأليفاً ونظماً ، وترك علماً يحسن التوجيه إليه ، والحث إلى العناية به أبو مُحَمَّد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميري الديريني المصري الذي عاش عامَّة القرن السابع الهجري .

وفيما يلي من صفحات هذا البحث سأقف على سيرته وجهوده في خدمة كتاب الله تعالى وأسميته (جهود الإمام الديريني في التفسير وعلوم القرآن) حسب الخطة التالية :

- المبحث الأول : ترجمة الإمام الديريني وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه ومولده ووفاته :

(*)أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعات السعودية .

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه وإفادتهم منه .

المطلب الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي .

المطلب الخامس : شعره .

المطلب السادس : عوامل أثْرَت وأثَّرت في شخصيته.

المطلب السابع : مؤلفاته .

- المبحث الثاني : جهود الإمام الديريني في التفسير وعلوم القرآن وفيه مطالب :

المطلب الأول : كتاب الكفاية في تفسير القرآن .

المطلب الثاني : التيسير في التفسير.

المطلب الثالث : الأنوار الواضحة في معاني الفاتحة.

المطلب الرابع : الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي .

المطلب الخامس : الفرق بين الدال والذال ، والفرق بين التاء والثاء .

المطلب السادس : التنبيهات الحسان في معاني الإحسان .

المطلب السابع : الزوائد على مذهب الإمام أبي عمرو البصري .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

المبحث الأول

ترجمة الإمام الديريني[1] وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه ومولده ووفاته :

هو عبد الْعَزِيز بن أَحْمد بن سعيد بن عبد الله أَبُو مُحَمَّد الدَّمِيرِيّ[2] الديريني[3] الْمصْرِيّ الْفَقِيه الشافعي الْعَالم الأديب الصُّوفِي الرِّفَاعِي، وكان رحمه صوفيا على الطريقة الرفاعية[4]، كما قال عن نفسه :

وسيدي ابن الرفاعي * قطب الخليقة أحمد

هذا مقال الدميري * عبد العزيز بن أحمد [5]

([1]) مصادر ترجمته: تاريخ الإسلام للذهبي(332/51)، الوافي بالوفيات (284/18)، طبقات الشافعية للسبكي (199/8)، طبقات الشافعية للأسنوي (269/1)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه (130/1)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ص(381)، طبقات الأولياء(447/1)، السلوك لمعرفة دول الملوك (220/2)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (181/2)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (192/3)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (269/7)، الدليل الشافي (414/1)، حسن المحاضرة (324/1)، طبقات المفسرين للداودي ص(214)، الطبقات الكبرى للشعراني (172/1)، جامع كرامات الأولياء (72/1)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (450/5)، طبقات المفسرين للأدنوي (ص256)، الأعلام (13/4)، تاريخ الأدب العربي(473/8)، الخطط التوفيقية الجديدة (185/11)، معجم المؤلفين (157/2)، معجم المؤلفين الصوفيين ص(205)، موسوعة أعلام العلماء والأدباء ص (419)، معجم الشعراء (175/3).

([2]) دَمِيرَةُ: قرية كبيرة بمصر قرب دمياط، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق من يريد دمياط معجم البلدان (2 / 472) .

([3]) (دِيْرِين) وهي قرية قديمة تابعة لمركز نبروه ، تقع إلى الشرق منه بينهما نحو ألفين وخمسمائة متر ، وهما تابعتان لمحافظة الغربية ، وبها ثلاثة مساجد أحدها للديريني التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لا بن المقارين ص(79).

([4]) الرفاعية: تنسب إلى أحمد الرفاعي 512-580همن بني رفاعة أحد قبائل العرب، وجماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران في إثبات الكرامات، هذا رغم ما ورد عن شيخ طريقتهم . الشيخ أحمد الرفاعي . من الحض الشديد على السنة واجتناب البدعة ومنها قوله: (ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1 / 266).

([5]) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (201/8) .

وأما مولده فقد ولد فِي سنة اثْنَتي عشرَة أَو ثَلَاث عشرَة وسِتمِائَة للهجرة النبوية . وهو معدود في علماء الفقه الشافعي حيث أورده السبكي وغيره منسوبا في آرائه الفقهية للشافعية[1].

وأما سنة وفاته فقد وقع فيها خلاف كبير كما وصف صاحب الشذرات [2]، فقد قيل: توفي في سنة (688هـ)[3] وقد رجح ابن قاضي شهبة [4] بأنه توفي في رجب سنة (694هـ).

وقد كانت وفاته في ديرين في البلاد المصرية ، ودفن فيها[5].

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه

شحت مصادر ترجمة الديريني عن أن تجود بأسماء شيوخه إلا تلك الأرجوزة التي أوردها عنه ابن الملقن حيث تجاوز عددهم الأربعين شيخاً نظمهم في قصيدة أسماها الأرجوزة الوجيزة[6] ومن أبياتها ما يلي :

وهذه أرجوزة وجيزة	ضمنتها المقاصد العزيزة
بذكر من بالعلم والصلاح	بدا عليه عالم ولاح
ممن صحبت لرجاء النفع	ولاجتماع الشمل يوم الجمع
مشايخ أئمة أبرار	وإخوة أحبة أخيار

(1) المرجع السابق 201/8 ، و عامة مراجع ترجمته.

(2) شذرات الذهب (450/5).

(3) تاريخ الإسلام (332/51).

(4) ابن قاضي شهبة: هو تقي الدين أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد بن عمر الأسدي الدمشقي ، فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمها، اشتهر بابن قاضي شهبة له عدة مؤلفات، توفي سنة (851هـ). الأعلام (61/2)، معجم المؤلفين (141/2).

(5) تذكرة النبيه (130/1)، عقد الجمان (192/3)، المنهل الصافي (269/7).

(6) ذكرها ابن الملقن في طبقات الأولياء (524/1-533).

وقد أورد فيها ما يزيد على أربعين شيخاً من غير تحديد العلوم التي نهلها منهم أو طبيعة الإفادة منهم بين العلم أو مشيخة التصوف .

وقد اقتصرت المصادر التي ذكرت شيوخه على تسمية اثنين منهم وهما[1]:

1 - عز الدين بن عبد السلام[2].

2 - أبو الفتح بن أبي الغنائم الرسعني[3]، وقد جاء في المصادر أنه صحبه وتخرج به.

كما سجل الديريني بخطه بعد نهاية منظومته التيسير في التفسير كما جاء في إحدى نسخها بعض سماعاته من شيوخه ، فقد سمع من عالمين هما[4]:

1 - مجد الدين مُحَمَّد بن عبد الصمد الأنصاري [5]، وقد سمع منه الموطأ ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، ومسند أحمد ، بسند متصل إلى مصنفيها ، كما أجاز له رواية جميع ما يرويه ، وكتب له ذلك بخطه في أواخر ربيع الأول سنة (640هـ).

([1]) المصادر السابقة في أول ترجمته.

([2]) عز الدين بن عبد السلام : هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي الشافعي ، شيخ الإسلام وسلطان العلماء ، بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد سنة(558هـ)، وتوفي سنة(660هـ). الوافي بالوفيات (318/18)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة(109/2).

([3]) أبو الفتح الرسعني : لم أقف له ترجمة.

([4]) مخطوط التيسير في التفسير ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)،(ل 114-117).

([5]) مُحَمَّد بن عبد الصمد الأنصاري : لم أجد له ترجمة.

وأما تلاميذه فقد صحبه جماعة كثيرة من التلاميذ خصوصاً إذا أخذنا بالاعتبار كثرة تنقله وشيوع علمه وتنوعه في أفانين كثيرة في الكثير من الديار المصرية .

ومع ذلك فلا نجد معدوداً في ترجمته من تلاميذه سوى اثنين هما[1]:

1 - شهاب الدين أحمد بن منصور المعروف بابن الجباس[2].

2 - عثمان بن مُحَمَّد بن يوسف السنباطي[3].

كما سجل الديريني بخطه بعد نهاية منظومته التيسير في التفسير في آخر إحدى نسخها بعض الإجازات لبعض تلاميذه فقال : "بلغ السماع لجميع هذا الكتاب المعروف بالتيسير في علم التفسير من لفظ مصنفه ... أبي مُحَمَّد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد نفع الله ببركاته وتقبل صالح دعواته ، فسمعها القضاة الأجلاء، والسادة النبلاء زين الدين أبو الفتح منصور بن عرفات، .. وأخوه الفقيه الأجل العالم جمال الدين أبو مُحَمَّد ، وولده القاضي الأجل شرف الدين مُحَمَّد ، والفقيه الأجل الأمين زين الدين أبو بكر بن أبي القاسم الذي عرف بابن مشرف ، والفقيه الأجل كمال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن منصور الكتاني ، وأجاز الشيخ المذكور أعلاه لمن سمى فيه جميع إجازاته ومسموعاته ومصنفاته ومقولاته ومنقولاته ، وذلك في العشر الأول من ربيع الآخر سنة (674هـ)، وقد أجزت السادة الفقهاء المذكورين ﷺ برواية جميع ما أرويه وما صنفته"[4].

(1) الدرر الكامنة (263/2).

(2) ابن الجباس : هو أحمد بن منصور بن أسطوراس الدمياطي المعروف بابن الجباس ، قرأ القراءات ، وله نظم كثير ، ولد سنة (653هـ)، وكان حياً سنة (733هـ). الوافي بالوفيات (122/8).

(3) السنباطي : هو عثمان بن مُحَمَّد بن يوسف السنباطي الكاتب الحنفي ، سمع من الحافظ الدمياطي ، وحدث عن الديريني ، كان شريف النفس متقللا من الدنيا. الدرر الكامنة (263/3).

(4) مخطوط التيسير في التفسير ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)، (ل 116-117).

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه وإفادتهم منه

عند النظر في سيرة الإمام أبي مُحَمَّد الديريني فإنك تجد شخصية واحدة تعددت فنونها فلفتت عناية علماء عصرها فجاءت نظرتهم له نظرة الثناء والرضى والإشارة إليه بالفضل وكذلك وجدنا ذكره في تلك الكتب التي ترجمت له ومن ذلك :

أولاً: قال عنه أبو حيان الأندلسي [1] : " كان رجلاً متقشفاً مخشوشناً من أهل العلم يتبرك الناس به، رأيته مراراً وزرته بالقاهرة [2]..، وله نظر كثير في غير ما فن ، ومشاركة في فنون شتى "[3].

وعلق على ذلك السبكي[4]بقوله: "وهذا من أبي حيان في حق المتصلحين كثير، ولولا أن هذا الشيخ ذو قدم راسخة بالتقوى لما شهد له أبو حيان بهذه الشهادة؛ فإنه كان قليل التزكية للمتصلحين"[5].

قلت : بل إنه ينكر عليهم الكثير مما هم عليه فضلاً أن يزكيهم بمثل كلامه عن أبي مُحَمَّد الديريني، ومن ذلك قوله : " وَكَثِيرًا مَا تَرَى مِنَ الْمُتَصَلِّحِينَ، إِذَا حَدَّثُوا، كَانَ وِرْدُنَا الْبَارِحَةَ كَذَا، وَفَاتَنَا مِنْ وِرْدِنَا الْبَارِحَةَ، أَوْ فَاتَنَا وِرْدُنَا، يُوهِمُونَ النَّاسَ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِاللَّيْلِ. وَتَرَى لِبَعْضِهِم فِي جَبِينِهِ سَوَادًا يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ، وَلِبَعْضِهِمُ احْتِضَارُ النِّيَّةِ حَالَةَ الْإِحْرَامِ، فَيُحَرِّكُ يَدَيْهِ مِرَارًا، وَيُصْعَقُ حَتَّى يَنْزَعِجَ مَنْ بِجَانِبِهِ، وَكَأَنَّهُ يَخْطِفُ شَيْئًا بِيَدَيْهِ وَقْتَ التَّحْرِيكَةِ

([1]) أبو حيان : هو الإمام أثير الدين مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن حيان النفري الأندلسي ، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ، من تصانيفه : البحر المحيط ، والتكميل شرح التسهيل ، توفي بالقاهرة سنة (745هـ). (معرفة القراء الكبار1471/3)، (طبقات المفسرين للداودي ص492).

([2]) القاهرة : عاصمة الملوك المصريين وقاعدتهم ، وهي مدينة كبيرة معروفة معجم البلدان(301/4) .

([3]) الوافي بالوفيات (284/18).

([4]) السبكي : هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر ، أصولي فقيه مؤرخ ، له جمع الجوامع، وطبقات الشافعية الكبرى ، توفي سنة (771هـ). الدرر الكامنة(232/3)، شذرات الذهب(221/3).

([5]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (181/2).

الْأَخِيرَةِ، يُوهِمُ أَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَى تَحْقِيقِ النِّيَّةِ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ فِي حَلِفِهِ: وَحَقِّ الْبَيْتِ الَّذِي زُرْتُ، يُعْلِمُ أَنَّهُ حَاجٌّ، وَإِذَا لَاحَ لَهُ فَلْسٌ يَثِبُ عَلَيْهِ وُثُوبَ الْأَسَدِ عَلَى الْفَرِيسَةِ، وَلَا يَلْحَقُهُ شَيْءٌ مِنَ الْوَسْوَاسِ، وَلَا مِنْ إِحْضَارِ النِّيَّةِ فِي أَخْذِهِ، وَتَرَاهُ يُحِبُّ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ"[1].

ثانيا : نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في الفتاوى وتسميته له بالشيخ ، وذكره في معرض العلماء المصريين الكبار حين قال عن المشهد القاهري: " وَمَا زَالَ ذَلِكَ مَشْهُورًا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ حَتَّى أَهْلِ مِصْرِنَا مِنْ سَاكِنِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ: الْقَاهِرَةِ وَمَا حَوْلَهَا. فَقَدْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ الثِّقَاتِ: عَنْ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ القشيري الْمَعْرُوفِ بِابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفٍ الدِّمْيَاطِيُّ وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ القسطلاني وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ وَشَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى. وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الديريني – كُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ حَدَّثَنِي عَنْهُ مَنْ لَا أَتَّهِمُهُ وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِهِمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ كُلٌّ يُحَدِّثُنِي عَمَّنْ حَدَّثَنِي مِنْ هَؤُلَاءِ: أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ أَمْرَ هَذَا الْمَشْهَدِ"[2].

ثالثا : نقل العلماء عنه واستفادتهم منه ، ومن ذلك : السيوطي في الإتقان في علوم القرآن[3]، والزركشي في البرهان في علوم القرآن[4]، وغيرهما الكثير[5].

رابعاً: الكتب وعلماؤها الذين ترجموا له ، ومن ذلك قول السبكي : " الشيخ الزاهد القدوة العارف ، صاحب الأحوال والمصنفات والنظم الكثير، ... وكان سليم الباطن حسن

([1]) البحر المحيط في التفسير (10 / 21) .
([2]) مجموع الفتاوى (27 / 485) .
([3]) الإتقان في علوم القرآن (1/36، 70).
([4]) البرهان في علوم القرآن (1/ 369).
([5]) كالمناوي في فيض القدير (125/1)، والعطار في حاشيته على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (481/2).

الأخلاق"[1]، وقول السيوطي : " كان عالما صالحا "[2]، وقال ابن العماد : "الفقيه الشافعي العالم الأديب"[3]، وقال الصفدي:" الشَّيْخ الْقدْوَة الصَّالح " [4]، وقال ابن الملقن: "الزاهد القدوة، ذو الأحوال المذكورة والكرامات المشهورة، والمصنفات الكثيرة، والنظم الشائع"[5].

المطلب الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي .

تأثر أبو مُحَمَّد الديريني بظروف بيئته المصرية في القرن السابع الهجري حيث تفتقت عيناه على دولة بني أيوب وعلمائها وحضاراتها التي تبنت العقيدة الأشعرية ، وحملت الناس عليه حيث قامت على أنقاض الدولة الباطنية الفاطمية.

وكان متمكنا من مذهبه الأشعري حتى قال عنه السبكي : " وكان يعرف علم الكلام على مذهب الأشعري "[6] .

فهو في باب الصفات نهج سبيل الأشاعرة من إثبات الصفات السبع دون غيرها ، وتأويل ما عداها ، فقد أول صفات المحبة ، والرضا ، والغضب ، والسخط ، والبغض بالنسبة لله تعالى ، فقال : "ومحبة الله تعالى للعبد إرادة تقريبه وإكرامه ، وكذلك رضاه ، ومعنى غضب الله وسخطه وبغضه للعبد إرادة إبعاده وتعذيبه "[7]، وأنكر جميع صفات الله تعالى

(1) طبقات الشافعية الكبرى (199/8).
(2) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (421/1).
(3) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (784/7).
(4) الوافي بالوفيات للصفدي (284/18).
(5) طبقات الأولياء لابن الملقن (447/1).
(6) طبقات الشافعية الكبرى (200/8).
(7) المخطوط لوح رقم (3).

الاختيارية والفعلية المتعلقة بالمشيئة فقال : " وأن الله تعالى موجود قديم باق ، منزه عن صفات الحدوث واحد "[1] .

كما أنكر بعض الصفات الخبرية لله تعالى كصفة العين فقال: "والسميع البصير: المتصف بسمع قديم من غير جارحة ولا أذان، وبصر قديم من غير جارحة ولا أجفان"[2].

كما صرح بمنهج الأشاعرة في باب القضاء والقدر ، فتجده في مسألة خلق أفعال العباد يأخذ بما يعرف عند الأشاعرة بمسألة الكسب فيقول : "وأفعال العباد كلها بقدرة الله ومشيئته ، فالعبد في فعله قدرة وإرادة خلقهما له يتميز بهما عن الجماد والمجبور ، وليس لهما القدرة بالفعل "[3].

وقد أبرز أبو مُحَمَّد الديريني رحمه الله منهج الأشاعرة في تفسيره لكتاب الله تعالى ، فترى كتابه (الأنوار الواضحة في تفسير الفاتحة) خير شاهد على ذلك ، فقد فسر فيه سورة الفاتحة تفسيراً اعتقادياً على مذهب الأشاعرة[4].

ومع ذلك كله فقد كان في التفسير نقي العبارة، عفيف اللسان، مؤصلا مكتفيا بقناعته ورأيه وعقيدته دون التعرض لأحد من مخالفيه .

وأما مذهبه الفقهي: فهو من أئمة المذهب الشافعي وأعلامه في عصره ومصره وكان لشخصيته الأدبية الشعرية مزية فضل زادت المذهب الشافعي رواجا حيث نظم الشعر في الفقه الشافعي علاوة على مؤلفاته المنثورة فيه؛ فنظم الوجيز في فروع الفقه الشافعي على

([1]) المخطوط لوح رقم (1).

([2]) المخطوط لوح رقم (3).

([3]) المخطوط لوح رقم (3).

([4]) سيأتي الكلام على هذا الكتاب قريبا .

حرف الراء ، ونظم التنبيه في الفروع أيضاً ، وشرح التعجيز في اختصار الوجيز في الفروع الشافعية ، وغير ذلك[1].

وهو مع ذلك لم يك متعصباً، ولا متعنتاً فجاءت عبارته لطيفة تحمل الأدب والتقدير لعامة المذاهب الأربعة ومن ذلك قوله :

الله ربي وحسبي	الله أرجو وأحمد
وشافعي يوم حشري	خير الخلائق أحمد
صلى عليه إلهي	أوفى صلاة وأحمد
ومالك والحنيفي	والشافعي وأحمد

(2)

وتراه لا يقتصر على مذهب الشافعي في مسائل الفقه بل يذكر غيره معه ومن ذلك قوله : "ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ[3]: "هذا على الندب، ولو تراضوا بترك الإشهاد جاز هذا على مذهب مالك، والشافعي، وأكثر العلماء "[4].

المطلب الخامس : شعره .

من خلال التنقل بين أفانين أبي مُحَمَّد الديريني نجد أن له عناية بالشعر تستحق الوقوف عليها والإشارة إليها ، وذلك أنك لاتكاد تجد عِلْما أجاده إلا وأرسل فيه أوزانه نثرا كغيره من العلماء ، ونظما يشح به غيره فيمكننا القول إن أبا مُحَمَّد الديريني قد أضاف سبيلا جديدا

([1]) الوافي بالوفيات (285/18)، طبقات الشافعية الكبرى (199/8)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، موسوعة أعلام العلماء والأدباء ص(419).

([2]) طبقات الشافعية الكبرى(201/8).

([3]) سورة البقرة ، آية (282).

([4]) المخطوط لوح رقم (55).

لنشر علمه وأفكاره وآرائه التي يعتقدها، بل يتعداها إلى ما هو أبعد منها مما يدل على تمكنه في الشعر .

فنجده ينظم عن شيوخه فيقول : "

وهذه أرجوزة وجيزة ضمنتها المقاصد العزيزة
بذكر من بالعلم والصلاح بدا عليه عالم ولاح
ممن صحبت لرجاء النفع ولاجتماع الشمل يوم الجمع
مشايخ أئمة أبرار وإخوة أحبة أخيار

إلى أن قال :

وكل شيخ نلت منه علماً أو أدباً فهو إمامي حتماً
وقد عددت منهم جماعة اشتهروا بالفضل والبراعه
وما سكت عن سواهم صدا ولم أطق حصر جميع عدا

ونجده في موضع آخر ينسب نفسه للطريقة الرفاعية من الصوفية فيقول : "

إن الرفاعيين أصحاب الوفا والجود للعافي الملم المرمل
كم منهم من عارف ذي همة أو صادق عن عزمه لم يفشل
لا أنتهي لا أنثني عن حبهم كرر ملامي يا عذولي واعذل
أنا أحمدي أنا أحمدي من أوجه في ذكر أحمد كل معنى أجتلي (1)

كما جاء في أرجوزته الوجيزة التي ذكر فيها شيوخه قوله :

(1) طبقات الأولياء (523/1).

وقد تعلقت بقطب العصر منهم فنحن في سناه نسري
شيخ الأنام أحمد الرفاعي حين أتانا من حِماه داعي
فنحن بين أحمد وأحمدي وشيخنا القطب الشريف أحمد (1)

ونقل عنه السبكي قوله :

وسيدي ابن الرفاعي قطب الحقيقة أحمد
هذا مقال الدميري عبد العزيز بن أحمد (2)

كما نجده ينظم في مذهبه الفقهي الشافعي فيقول : "

الله ربي وحسبي الله أرجو وأحمد
وشافعي يوم حشري خير الخلائق أحمد
صلى عليه إلهي أوفى صلاة وأحمد
ومالك والحنيفي والشافعي وأحمد (3)

وهذا كله من باب التمثيل على قدرته الفائقة في الشعر وتوظيفه من خلال مواضيع شتى.

(1) المرجع السابق (528/1).
(2) طبقات الشافعية الكبرى (201/8).
(3) المرجع السابق (201/8).

وأما الشعر الذي هو الصورة البيانية والمعنى العميق الموزون فلم يك عصيا على أبي مُحَمَّد الديريني ومن ذلك (تخميس أبيات التهامي) التي صنعها على قصيدة أبي الحسن التهامي في رثائه لابنه والتي منها:

سلم أمورك للحكيم الْبَارِي تسلم من الأوصاب والأوزار
وَانْظُر إِلَى الأخطار فِي الأقطار حكم الْمَشِيئَة فِي الْبَرِيَّة جَار

مَا هَذِه الدُّنْيَا بدار قَرَار

لذات دُنْيَانَا كأحلام الْكرَى وبلوغ غايتها حَدِيث مفترى
وسرورها بشرورها قد كدرا بَينا يرى الْإِنْسَان فِيهَا مخبرا

ألفيته خَبرا من الْأَخْبَار

ازهد فَكل الراغبين عبيدها والزاهد الحبر التقي سعيدها
وَلَقَد تشابه وعدها ووعيدها طبعت على كدر وَأَنت تريدها

صفوا من الأقذار والأكدار

لَا تغترر بوميضها وخداعها فوراء مبسمها نيوب سباعها
إِذْ لم تعرِّف فِترَها مِنْ بَاعِهَا ومكلف الْأَيَّام ضد طباعها

متطلب فِي المَاء جذوة نَار

لَا ترج من حَرْب المطالب مغنما ولربما جر التخيل مغرما
وَإِذا رضيت الحكم عِشْت مكرما وَإِذا رَجَوْت المستحيل فَإِنَّمَا

تبني الرَّجَاء على شَفير هار

الدَّهْر يمْضِي والحوادث جمة والرفق هَين والتكالب لَحْظة
وَالصَّبْر لين والتسخط غلظة والعيش نوم والمنية يقظة

والمرء بَينهمَا خيال سَار

أعماركم تمْضِي بسوف وَرُبمَا لَا تغنمون سوى عَسى ولعلما
هم المسوف كالتعلق بالسما أيامكم تمْضِي عجالا إِنَّمَا

أعماركم سفر من الْأَسْفَار

وترقبوا قرب الرحيل وحاذروا فَوت المرام فللورود مصَادر
ودعوا التعلل والفتور وَصَابِرُوا وتراكضوا خيل الشَّبَاب وَبَادرُوا

أَن تسترد فَإِنَّهُنَّ عوار

طمس الزَّمَان معاهدا ومعالما ومحا بغيهبه البهيم مكارما
وأدال مَا بَين الْأَنَام مراحما لَيْسَ الزَّمَان وَإِن حرصت مسالما

خلق الزَّمَان عَدَاوَة الْأَحْرَار

ومن شعره كذلك : "

اقتصد فِي كل حَال واجتنب شحا وغرما
لَا تكن حلوا فتؤكل لَا وَلَا مرا فترمى (1)

(1) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8 / 202).

وقال أيضاً :

لقد درت أَطْرَاف الْبِلَاد بأسرها ... وعانيت من شغل وعاينت من شكل
وَلم أر أحلى من تفرد سَاعَة ... مَعَ الله خَالِي البال والسر والشغل
أناجيه فِي سري وأتلو كِتَابه ... فَأشْهد مَا يسلي عَن المال والأهل

ومن قصائده قوله :

إذا ما مات ذو علم وتقوى ... فقد ثلمت من الإسلام ثلمة
وموت العادل الملك المرجى ... حكيم الحق منقصة ووصمة
وموت الصالح المرضي نقص ... ففي مرآه للإسلام نسمة
وموت الفارس الضرغام ضعف ... فكم شهدت له في النصر عزمة
وموت فتى كثير الجود محْلٌ ... فإن بقاءه خصب ونعمة
فحسبك خمسة تبكي عليهم ... وموت الغير تخفيف ورحمة [1]،[2]

المطلب السادس : عوامل أثْرَت وأثَّرت في شخصيته

بعد التنقل في حياة أبي مُحَمَّد الديريني رحمه الله نجد أن عواملَ عديدة أثرت في شخصيته ومؤلفاته المدونة بين أيدينا، ومن خلال محاولة الرصد لتلك العوامل أو بعضها يمكننا القول أن منها :

أولاً : تعددية شخصية أبي مُحَمَّد الديريني، فهو الفقيه، الصوفي، الشاعر، الأشعري، مما جعل مداركه تتعدد وتتوسع ويتضح هذا من تأليفه وكتاباته .

(1) طبقات الشافعية الكبرى (201/8).
(2) الوافي بالوفيات للصفدي (284/18).

ثانيا : إلتقاء التصوف مع موهبة الشعر في شخصيته مما جعله نقي السريرة ، مهذب العبارة ، فساحت قريحته في فنونه وزهده على حد سواء .

ثالثاً : تطوافه في المدن المصرية ترك له شخصية استثنائية من حيث تجدده هو ، وتعدد علاقاته ، ومن حيث عدد الأشخاص الذين لقيهم فانتفعوا بعلمه ، أو اقتدوا بسمته وتربيته .

رابعا : غزارة إنتاجه الشعري واقتداره عليه فكان آثاره الشعرية تفيض كثرة ، ومنظوماته العلمية تقدم فنون العلم بقالب موزون .

المطلب السابع : مؤلفاته.

ترك أبو مُحَمَّد الديريني موروثا ضافيا للمكتبة الإسلامية في فنون شتى وحيث خصص هذا البحث للمتعلق منها بالتفسير وعلوم القرآن فإنني أعرض في هذا المطلب لمؤلفاته في الفنون الأخرى بطريقة مختصرة :

1 - الأحكام في الحديث، وقد ذكره المؤلف ضمن ذكره لبعض مصنفاته في نهاية إحدى نسخ كتابه التيسير[1].

2 - إرشاد الحيارى في ردع من مارى في أدلة التوحيد ورد النصارى ، وهو مطبوع قديماً في القاهرة سنة(1322هـ) مع كتاب السؤال العجيب في الرد على أهل الصليب ، وكتاب السهم المصيب لإفادة أهل الصليب ، كما طبع طباعة حجر سنة(1284هـ)في مصر [2]، وقد حققه الأخ الباحث عماد مُحَمَّد فاضل باللغة

(1) مخطوط التيسير في التفسير ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)،(ل 117).

(2) تاريخ الأدب العربي(439/8)، الأعلام(13/4)، هدية العارفين(580/5)، معجم المؤلفين(157/2)، معجم المطبوعات العربية ص(901).

العربية ثم ترجمه إلى اللغة الإنجليزية في رسالته الماجستير المقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر عام 1431هـ، ولم يطبع بعد.

3 - مقدمة في أصول الدين[1]، وقد أشار إليها السخاوي في الضوء اللامع[2].

4 -المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، وقد ذكره المؤلف في جملة من مصنفاته في آخر إحدى نسخ كتابه التيسير[3]، وأشار إليه في التيسير بقوله :

وقد جمعت في معاني الأسماء المقصد الأسنى فحاز الأسما [4]

وقد طبع قديماً في القاهرة سنة (1330هـ) [5]، وطبع حديثاً بتحقيق د.مصطفى ابن مُحَمَّد الذهبي ، نشرته مكتبة المقدسي، مصر، (1998م)، في مجلد واحد، كما طبع بتحقيق أحمد المزيدي، من منشورات دار الحقيقة للبحث العلمي، مصر، في عام (2008م)، في مجلد واحد.

5 - أنوار المعارف وآثار العوارف ، وقد ذكر ابن قاضي شهبة أنه في التصوف[6]، وقال المقدسي : "هو في شرح أسماء الله تعالى وخواصها ، رأيته بخطه وكتبت منه نسخة "[7].

([1]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([2]) الضوء اللامع(248/2).

([3]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، طبقات المفسرين للداودي ص(215)، هدية العارفين (581/5)، مخطوط التيسير ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)،(ل 117).

([4]) التيسير (10/1).

([5]) تاريخ الأدب العربي(439/8).

([6]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة(182/2)، طبقات المفسرين للداودي ص(215).

([7]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

6 - الوسائل الإلهية والرسائل المحمدية في التوحيد ، مخطوط في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم (1/4348)[1].

7 - أركان الإسلام في التوحيد والأحكام ، وله اسم آخر وهو : رسالة فيما يجب العلم به والاعتقاد (كتاب الأركان في الإيمان والإسلام والإحسان)، وهو كتاب مختصر في العلم بالعقيدة ، وهو مخطوط في ثلاثة عشر لوحاً في مكتبة برلين تحت رقم (3/1792)، وفي دار الكتب المصرية تحت رقم (12/34مجاميع)[2].

8 - قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور ، وهو عبارة عن قصيدة تقع في مائة وتسعة عشر بيتاً تبدأ بقوله

الله أعظم مما جال في الفكر وحكمه في البرايا حكم مقتدر

وهو مطبوع في نهاية كتاب جريدة العجائب في القاهرة سنة(1288هـ)[3].

9 - نظم الوجيز في فروع الفقه الشافعي للغزالي[4]، في قريب الخمسة آلاف بيت بيت على حرف الراء بنظم متمكن[5]، ومن أوله في كتاب الطهارة ما يلي[6]:

(1) تاريخ الأدب العربي(440/8).

(2) تاريخ الأدب العربي(439/8)، هدية العارفين (581/5)، منظومة الديربني في التفسير صورة للدرس الإسلامي في مصر ص(29)، الفهرس الشامل ، قسم الفقه وأصوله (364/1).

(3) تاريخ الأدب العربي (439/8)، هدية العارفين (581/5)، ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديربني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

(4) الغزالي : هو زين الدين أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطوسي الغزالي الشافعي ، حجة الإسلام ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط ، توفي سنة (505هـ). سير أعلام النبلاء (324/19)، الأعلام (22/7).

(5) الوافي بالوفيات (285/18)، طبقات الشافعية الكبرى(199/8)، طبقات الشافعية للأسنوي (269/1)، تذكرت النبيه (130/1)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، شذرات الذهب (450/5).

(6) الوافي بالوفيات (285/18).

10 - نظم التنبيه في فروع الفقه الشافعي للشيرازي[1][2].

11 - دقائق التنبيه[3].

12 - شرح التعجيز مختصر الوجيز في فروع الفقه الشافعي لابن منعة[4].

13 - نظم الوسيط [5].

14 - الأنوار المسفرة في أحكام الشريعة المطهرة ، وهو نظم في الفقه يقرب من ألف بيت[6].

15 - الأشكال المشكلة في الفرائض ، وهو مختصر في مسائل الفرائض بدون ذكر الخلاف فيها ، وهو مخطوط في ست وثلاثين لوحاً ، محفوظ في دار الكتب المصرية ، تحت رقم (330/فرائض)[7].

16 - الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة ، وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية في

([1]) الشيرازي : هو جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي ، إمام الشافعية المجتهد ، ولد سنة (393هـ)، وصنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب ، وتوفي سنة(476هـ). سير أعلام النبلاء (454/18)، الأعلام(51/1).

([2]) طبقات الشافعية الكبرى(199/8)، طبقات الشافعية للأسنوي(269/1)، تذكرت النبيه(130/1)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة(182/2)، شذرات الذهب(450/5)، كشف الظنون(492/1).

([3]) كشف الظنون(492/1)، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ص(419).

([4]) ابن منعة : هو تاج الدين أبو محمد عبدالرحيم بن محمد بن يونس بن منعة الشافعي ، ولد سنة(598هـ)، له عدة مصنفات في فقه الشافعية منها التعجيز ، توفي ببغداد سنة(671). طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة(93/1)، الوافي بالوفيات(147/6). وهدية العارفين(581/5)، موسوعة أعلام العلماء والأدباء ص(419).

([5]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، طبقات المفسرين للداودي ص(215).

([6]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([7]) منظومة الديريني في التفسير صورة للدرس الإسلامي في مصر . رسالة ماجستير . ص(29).

تسعين لوحاً تحت رقم(فقه شافعي 106)[1].

17 - الرفق بالأمة في اختلاف الأئمة[2].

18 - مفاتيح الكنوز ، وتسمى رموز الكنوز ، وهي منظومة في الفقه الشافعي ، نسخة محفوظة في مكتبة الدولة ، برلين ، تحت رقم(4654)[3].

19 - الشجرة في ذكر نسب النبي ρ وأصحابه العشرة ، وذكرته بعض المصادر باسم : نظم السيرة النبوية[4]، وهو أرجوزة في ألف بيت ونيف، وهو مخطوط في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم (1/4248)، وفي دار الكتب المصرية تحت رقم(227/5)[5].

20 - المواليد والطوالع ، وهو مخطوط في الفاتيكان تحت رقم(3/726/5)[6].

21 - العربية ، وهي أرجوزة في النحو[7]، ذكر السخاوي أنها تبلغ (685) بيتاً[8].

22 - المخمس في النحو[9]، وهو نظم الدرة المضيئة ، وقد أشار إليه السخاوي [10]، وهو

([1]) كشف الظنون(749/1)، هدية العارفين(581/5)، الأعلام(13/4)، تاريخ الأدب العربي(439/8)، الفهرس الشامل ، قسم الفقه وأصوله (139/4).

([2]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91)، الفهرس الشامل ، قسم الفقه وأصوله (404/4).

([3]) معجم المؤلفين الصوفيين ص(206)، الفهرس الشامل ، قسم الفقه وأصوله (427/4، 527/10).

([4]) طبقات الشافعية للأسنوي (269/1)، تذكرت النبيه (130/1)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، حسن المحاضرة (324/1)، كشف الظنون (1012/2).

([5]) تاريخ الأدب العربي (439/8).

([6]) تاريخ الأدب العربي (440/8).

([7]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([8]) الضوء اللامع (262/10).

([9]) معجم المؤلفين (157/2).

([10]) الضوء اللامع(187/6، 189).

مخطوط في القاهرة تحت رقم (160/2)[1].

23 - المربع في المثلثات اللغوية ، وقد قام بتحقيقه ودراسته ونشره د. عدنان عمر الخطيب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[2].

24 - مثلثات لغوية ، وهو نظم يعارض فيه مثلث قطرب [3]، وهو مخطوط في أربعة ألواح ، ومحفوظ في مكتبة برلين تحت رقم(2/7081)، وفي مكتبة الإسكندرية تحت رقم (لغة 25-28)، وفي دار الكتب المصرية تحت رقم (5253)[4].

25 - المورث لمشكل المثلث لقطرب ، وهو شرح منظوم لمثلثات قطرب ، وقد طبع في فاس عام (1317هـ)، ثم نشره لويس شيخو محققاً في مجلة المشرق البيروتية في المجلد (12)ع(9) عام (1909م)، وأعاد نشره عبد الله كنون في مجلة المناهل المغربية ع(3) عام(1975م) .

26 - نظم مثلث قطرب[5].

27 - جواهر الاقتباس في علم الجناس، مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم (2/7331)، وفي مكتبة فيينا تحت رقم(234)[6].

28 - الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة، وقد طبع قديماً على ورق جيد في مصر سنة

([1]) تاريخ الأدب العربي(439/8).

([2]) تاريخ الأدب العربي(440/8)، منظومة الديريني في التفسير صورة للدرس الإسلامي في مصر ص(32)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد(81)،(3/589-628).

([3]) معجم المؤلفين(157/2).

([4]) تاريخ الأدب العربي(440/8)، منظومة الديريني في التفسير صورة للدرس الإسلامي في مصر ص(32).

([5]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([6]) تاريخ الأدب العربي(439/8).

(1320هـ) في (40ص)[1]، ولا وجود لهذه الطبعة اليوم، وهو مخطوط في مكتبة ليدن تحت رقم (2176)، وفي دار الكتب المصرية، تحت رقم (تصوف 690)، وعندي صورة منه في ثلاثة عشر لوحاً[2].

29 - الذهب المسبوك في علم السلوك[3].

30 - قواعد العبارات[4].

31 - نرجس القلوب ، وهو مخطوط في المكتبة العمومية تحت رقم(1556)[5].

32 - البهجة الصغرى في مناقب الشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني[6][7].

33 - سير الأبرار ورسائل الأسرار ، وهو في الرقائق[8].

34 - فوائد البلوى والمحن[9].

35 - رسالة في الفلك ، وقد عثرت عليها الباحثة حنان محمود بعنوان (قطف الزهرات في العمل بربع المقنطرات) ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية، تحت رقم (568 فلك) في ثمان ورقات، ونسخة أخرى تحت رقم(150 ميقات) في اثنين وعشرين لوحاً ، وهي رسالة مختصرة في علم الفلك والمواقيت لخصها عن رسالة له اسمها (النجوم

([1]) مجلة المنار ، المجلد الخامس ، ص(395)، معجم المطبوعات العربية ص(901).

([2]) كشف الظنون(924/1)، هدية العارفين(580/1)، تاريخ الأدب العربي(439/8)، معجم المؤلفين (157/2).

([3]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([4]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([5]) تاريخ الأدب العربي(440/8).

([6]) عبدالقادر الجيلاني : هو محيي الدين أبو مُحَمَّد عبدالقادر بن موسى بن عبدالله الحسني الجيلاني ، ولد سنة(471هـ)، من كبار الصوفية ، ومؤسس الطريقة القادرية ، توفي سنة(561هـ). طبقات الأولياء (41/1)، الأعلام(47/4).

([7]) معجم المؤلفين(157/2).

([8]) مخطوط التيسير في التفسير ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)،(ل 117).

([9]) معجم المؤلفين الصوفيين ص(206).

الزاهرة) وهي تشتمل على مقدمة وخمسة عشر باباً[1].

36 - اليواقيت في علم المواقيت ، وهو نظم في ثمانمائة بيت في علم الميقات والفلك ، وهو مخطوط محفوظ في مكتبة الموصل تحت رقم(61/297)[2].

37 - مرآة البصر في علم العبر ، وهو نظم يقرب من ألف بيت في علم التعبير[3].

38 - ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام[4].

المبحث الثاني

جهود الإمام الديريني في التفسير وعلوم القرآن وفيه مطالب :

المطلب الأول : كتاب الكفاية في تفسير القرآن .

ويرجع مجيء هذا المؤلف في مقدمة جهود الديريني لأمور أهمها :

1 – لأنه هو الكتاب الموجود المتكامل للديريني في تفسير كلام الله تعالى وصل لأيدينا .

2 – أنه مختصر من كتاب له شأنه في كتب تفسير كلام الله تعالى وهو الهداية لمكي بن أبي طالب القيسي .

3 – أن الديريني وإن نص على اختصاره للهداية فقد نثر الكثير من علمه في هذا التفسير .

([1]) معجم المؤلفين(157/2)، منظومة الديريني في التفسير صورة للدرس الإسلامي في مصر ص(31).

([2]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91)، تاريخ الأدب العربي (439/8).

([3]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([4]) معجم المؤلفين الصوفيين ص(206).

ولذلك ربما نال حظا أكبر من غيره من جهود الديريني في تقديمه وطبيعة عرضه والحديث عنه .

وقد قال عنه في مقدمة المخطوط : " فهذا كتاب اختصرته من كتاب الهداية في تفسير القرآن العزيز ، وسميته كتاب الكفاية " [1]، وأورده في نظمه للتفسير (التيسير في التفسير) فقال :

ويسر الله لي الكفاية ملخصاً فوائد الهداية [2]

وقد ورد بنفس هذه التسمية في تاريخ الأدب العربي، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، وبيانات خزانة القرويين[3] .

ويكفينا في توثيق نسبته إليه تلك النقول السابقة التي جرت من مداد أبي مُحَمَّد الديريني نثراً ونظماً.

ويمكننا الحديث عن منهجه فيه من خلال الآتي :

1 – تقدم تصريحه بأنه اختصره من كتاب الهداية لمكي بن أبي طالب القيسي .

2 – افتتح كتابه بذكر الله من البسملة والصلاة والسلام على مُحَمَّد ﷺ، ثم تفنن بذكر نعم الله واستفتاحه سبحانه كشأن الكثير من العلماء عند عزمهم على التأليف، ولم يذكر فيها شيئا من البواعث الخارجية على تأليفه بل هو انطلاق وتوق من نفسه الكريمة المحبة للخير والعلم ونشره .

(1) مقدمة الكتاب في القسم الثاني ص(138).

(2) التيسير في التفسير (3/1).

(3) تاريخ الأدب العربي(439/8)، الفهرس الشامل ، قسم التفسير وعلومه(345/1)، النسخة المغربية ، قبل صفحة الغلاف.

3 – مع أن الديريني صرح باختصاره لكتاب الهداية لمكي بن أبي طالب غير أنه لم يبق حبيس العبارة ، ولا ثاويا في ظل ماكتبه مكي في الهداية ، بل أطلق لعلمه الغزير العنان ليتدفق مجتهداً في كتاب الله تعالى حتى ظهرت شخصية أبي مُحَمَّد الديريني من خلال هذا التفسير ظهوراً واضحاً ويمكن لنا أن نعقد مقارنة سريعة من خلال مثالين :

أ – – قال مكي : " قوله تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [1] الدين الجزاء في هذا الموضع ، وقد يكون الدين التوحيد نحو قوله : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [2]، وقد يكون الدين الحكم نحو قوله: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [3] أي في حكمه ، ويكون الدين الإسلام... وقال مجاهد: الدين الحساب ،كما قال : ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [4] أي غير محاسبين ، ويكون الدين العادة ولم يقع في القرآن...)[5].

وقال الديريني: " قوله تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [6] والدين في اللغة الجزاء، ومن قرأه بالألف فهو من المِلك بكسر الميم والمعنى متقارب ، وإنما خص الدين بالملك وهو ملك الدنيا والآخرة ؛ لأن العرب كانوا مقرين بأنه ملك الدنيا وكانوا ينكرون البعث، فأخبرهم أنه ملك الدنيا والآخرة ، وقيل : خصه بالذكر لأنه ليس له في ذلك الوقت نائب يستنيبه في الملك ، وفي الدنيا قد حصل ذلك ، ولا يبقى في ذلك الوقت حاكم إلا الله تعالى ... ويدخل تحت يوم الدين كل آية فيها ذكر القيامة ، وما فيها من نعيم ونكال، وسرور و أهوال " [7].

([1]) سورة الفاتحة ، آية (4).
([2]) سورة آل عمران ، آية (19).
([3]) سورة النور ، آية (2).
([4]) سورة الواقعة ، آية (86).
([5]) الهداية (103/1، 104).
([6]) سورة الفاتحة ، آية (4).
([7]) المخطوط لوح رقم (4).

ب – وقد تراه مستقلا متخلصا من قيد الاختصار للهداية حين نراه يختار بعض الأقوال الجيدة ، أو يجمع بين الأقوال المتعددة ، أو يرجح بعضها على بعض ، أو غير ذلك كما قال رحمه الله :" قوله تعالى : ﭽ ﯾ ﯿ ﭼ [1] بالرفع ، أي أخذ وقَبِلَ ، ومن نصب آدم ورفع كلمات : فمعناه عنده أن الكلمات هي التي تلقته أي أتته من الله إلهاماً ، والمعنيان متقاربان ؛ لأن من لقيك فقد لقيته" .

وقال رحمه الله: " قوله تعالى : ﭽ ﭒ ﭓ ﭼ [2] قال عطاء والطبري : هي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها ، وهذا قول تدخل فيه الأقوال التي بعده " ، ثم ذكر أقوال السلف في المراد بالسكينة في الآية[3].

4 – اعتنى أبو مُحَمَّد الديريني بالتفسير بالمأثور عناية فائقة وعامة كلامه على الآيات لا ينفك بذكر الآية أو الحديث أو السلف ومن تفسيره للقرآن بالقرآن قوله: "ثم أمر الله المؤمنين إذا قُضيت صلاة الخوف أن يذكروا الله على كل أحوالهم ؛ لينصروا، فقال: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[4] الآية، ومثله: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ[5].[6]

وأما تفسيره للقرآن بالسنة فكقوله:" ﭽ ﮩ ﮪ ﭼ من الجزاء ﭽ ﮦ ﮧ ﭼ من الطاعات، ﭽ ﮮ ﭼ كذلك، فأعلمهم أن من عمل حسنة من رجل أو امرأة فالجزاء سواء ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ[7] أي اطلبوا أن يتفضل عليكم. ﭽ ﭦ ﭧ ﭼ فإنه كان عليماً بكم يعلم مصالح الرجال

(1) سورة البقرة ، آية (37).
(2) سورة البقرة ، آية (248).
(3) المخطوط لوح رقم (48).
(4) سورة النساء ، آية (103).
(5) سورة الأنفال ، آية (45).
(6) المخطوط لوح رقم (181).
(7) سورة النساء ، آية (32).

الرجال والنساء ، فكلفهم ما يصلحهم.وفي الآية النهي عن الحسد ، وإباحة الغبطة ، والحسد أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك ، فهذا محرم ، وأما الغبطة فهي أن تسأل الله أن يرزقك مثلما رزقه ، وهي الحسد المباح ، ومنه الحديث: "لا حسد إلا في اثنتين" الحديث[1]، وقوله : چڭ ڭ ڭ ۇچ[2].

وأما عنايته بأقوال الصحابة والتابعين فكقوله : "وقال ابن عباس، وقتادة: "الكلمات التي تلقاها أنه قال : أي رب أتتوب عليّ إنْ تبت؟، فقال الله تعالى : نعم ، فتاب الله عليه". وقيل : إنه رأى اسم مُحَمَّد مكتوباً على جميع ما في الجنة من الأبواب والجدران وغيرها ، فأقسم على الله بمحمد فغفر له. قال ابن عباس: "تاب الله على آدم يوم عاشوراء"[3].

والأمثلة في مثل هذا تطول، ووقفة على المخطوط تفيض بكثير الأمثلة .

5 – اعتنى أبو مُحَمَّد الديريني في تفسيره هذا بالتفسير اللغوي للقرآن حيث وقف كثيراً على المفردة القرآنية وغريبها وتصريفها، وإعرابها ، واشتقاقها ومن ذلك قوله : "وأصل الصفا في اللغة : الحجر الصلب، والمروة : الحصاة الصغيرة ،وواحد الشعائر شعيرة، ومعناها العلامة ، من أشعرته بكذا أي أعلمته ... وأصل الجناح: الميل، يقال: جنح أي مال ، ومنه جناح الطائر ، والجناح أيضاً الإثم"[4].

(1) أخرجه البخاري (كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة (25/1) ، رقم73) ، من حديث ابن مسعود τ.

(2) المخطوط لوح رقم (81).

(3) المخطوط لوح رقم (10).

(4) المخطوط لوح رقم (29).

وقال في بعض أعاريبه :" في قوله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ[1]؛ لأن معناه ذو البر، (الصابرين) قيل: عطف على السائلين ، وقيل : على ذوي القربى ، وقيل : منصوب بإضمار أعني ، وقيل : نصب على المدح"[2].

6 – أما في القراءات القرآنية فقد كان المؤلف يذكرها منسوبة تارة مهملة أخرى ويذكر المتواتر وغيره ، وهو له عناية بالقراءات حيث ألف في زوائد أبي عمرو البصري كما سيأتي ، ومن أمثلة عنايته للقراءات قوله : " **(وما يخادعون إلا أنفسهم)**[3] أي ما يرجع وبال خداعهم إلا عليهم ؛ لأنهم يعاقبون به ، ولا يضر المؤمنين ذلك ، فكأنهم يخادعون أنفسهم، **(ومايشعرون)** أن خداعهم لا يضر إلا أنفسهم، وقرئت **(وما يخدعون)** وهي أوجه"[4].

وقال : " ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[5] جمع أَغْلَفْ ، كأنه في غلاف ، ومعناه قلوبنا لا تفقه ما تقول ، قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما، كما قالوا : ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ ، ويجوز أن يكون غُلُف جمع غِلاف ، وأسكن تخفيفاً ؛ أي قلوبنا أوعية للعلم فلا نحتاج إلى ما تقول، وكذلك قرأ الأعرج، وابن محيصن (غُلُف) بضم اللام[6]، ورويت عن ابن عباس وأبي عمرو"[7].

والكتاب مخطوط رهن التحقيق لمجموعة من طلاب الدكتوراه في الجامعة الإسلامية .

([1]) سورة البقرة ، آية (177، 189).

([2]) المخطوط لوح رقم (31).

([3]) سورة البقرة ، آية (9).

([4]) المخطوط لوح رقم (6).

([5]) سورة البقرة ، آية (88).

([6]) مختصر في شواذ القرآن ص(8) ، الهداية(343/1)، إتحاف فضلاء البشر ص (184).

([7]) المخطوط لوح رقم (18).

المطلب الثاني : التيسير في التفسير.

وهو أرجوزة في التفسير بلغت ثلاثة آلاف ومائتين وستة وأربعين بيتاً ، وهو مطبوع قديماً سنة(1301هـ ، و 1310هـ) في القاهرة طبع حجر في مطبعة مُحَمَّد أبي زيد في (167ص)[1]، وطبع حديثاً بتحقيق د.مصطفى مُحَمَّد الذهبي في مجلدين عام (1420هـ)، ونشرته مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة.

والذي يظهر من عرضه له أنه كان يريد الاختصار والاقتصار فاستطرد في رجزه هذا حتى ضاعفه مرتين فلما خاف التطويل رجع للاختصار حتى نسب إلى نفسه التقصير، وقد ألفه في أربعين يوماً من سنة (673هـ) وهذا مايدل عليه قوله في خاتمتها :

يقول راجي المستعان الصمد	عبد العزيز الحامد بن أحمد
قد يسر الله بغير كلفة	تمام نظمي لا عدمت لطفه
عام ثلاث قبلها سبعون	من بعد ستمائة سنين
نظمته في أربعين يوما	ميقات إتمام الكليم الصوما
وكنت أرجو أن يكون ألفا	فزاد ضعفا ثم زاد ضعفا
وزاد حتى خفت أن أكثِّرا	فصرت أطوي نشره مقصرا
وماشفى لي نظمه غليلا	لأنني رأيته قليلا

وعند النظر في الكتاب نلاحظ الآتي :

([1]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، شذرات الذهب (450/5)، تاريخ الأدب العربي (439/8)، هدية العارفين (581/5)، ا منظومة الديريني في التفسير ، صورة للدرس الإسلامي في مصر . رسالة ماجستير . ص (24).

1 – قدم له بمقدمة بدأها بذكر الله تعالى والصلاة على نبيه مُحَمَّد ﷺ وعرض لقداسة القرآن وأنه المعجزة التي أعيت معارضيه أن يعارضوه .

2 – ثم ذكر مقدمة في فضل القرآن الكريم وتفسيره ، معرجا على أقسام التفسير الأربعة (ما استأثر الله بعلمه ، وما تعرفه العلماء ، وما تعرفه العرب من كلامها ، وما لايجهله أحد) .

3 – ذكر القصد من تأليفه لهذا الرجز حين قال :

وقد عزمت واستخرت ربي	فهو معيني وحده وحسبي
في جمع تفسير غريب اللفظ	مرجزا ميسرا للحفظ
ومايليه من بيان المشكل	والكشف عن تفصيل لفظ مجمل

4 – ذكر العلماء الذين اعتمد عليهم في أرجوزته تلك فقال :

مما روته السادة الأئمة	وحررته علماء الأمة
كالطبري والثعلبي ومكي	أئمة التفسير دون شك
والهروي الحبر والقتيبي	إذ نقلوا الغريب دون ريب
والواحدي جامع البسيط	وواضع الوجيز والوسيط
والمهدوي البحر ذي الفضل الجلي	والدامغاني والقشيري الولي
وغيرهم من أهل هذا الشأن	أهل النهى والعلم بالقرآن

5 – نلاحظ عامة العلماء المذكورين هنا تكرر ذكرهم كثيرا في كتابه الكفاية فربما صح أنه اعتمد في أرجوزته تلك على كتابه الكفاية لأمور هما :

أ – أن حرفه ينطق برضاه عن الكفاية بعد مدارسة للقرآن لمدة تقترب من أربعين عاما حيث يقول :

أتخذ القرآن لي إماما في العلم نحو أربعين عاما
ويسر الله لي الكفاية ملخصا فوائد الهداية
وأسأل الرحمن تحقيق الأمل وحسن قصد سالم من الزلل

ب – دل ذكره للكفاية هاهنا أنه ألفه قبل الأرجوزة .

ج – أنه بعد ذلك أتى على الأسماء الحسنى مبينا لمعانيها على حد فعله في كتاب الكفاية تماما ضمن تفسيره لسورة الفاتحة .

6 – ثم بعد ذلك استرسل في الأرجوزة مفردا لكل سورة أبياتا خاصة بها .

7 – حاز أبو مُحَمَّد الديريني قصب السبق في المبادرة إلى كتابة التفسير بالنظم والرجز ، وهو أسلوب لم يسبق إليه حسب علمنا إلى يومنا هذا .

المطلب الثالث : الأنوار الواضحة في معاني الفاتحة.

وهو كتاب مخطوط في تفسير سورة الفاتحة، وهو في مكتبة الدولة ، تحت رقم (382/1) ، ورقم (3450)[1]، ومنه نسخة في قسم المخطوطات في مركز إحياء التراث في جامعة أم القرى كتبت سنة(740هـ)، عن نسخة كتبت سنة(685هـ) عن أصل المؤلف بخطه ، وقد جاءت في خمسة وأربعين لوحاً ، يحتوي كل لوح على صفحتين، وكل صفحة تحتوي على سبعة عشر سطرا ، وهي مكتوبة بخط مشرقي جيد ، ويظهر أنها جاءت بعد كتاب متعلق بخصائص النبي ﷺ حيث جاء على اللوح الأول منها ما نصه : " تمت خصايصه ﷺ وشرَّف وكرَّم، يتلوه الأنوار الواضحة في تفسير الفاتحة، تصنيف الشيخ الصالح الإمام العالم الفاضل ، ضياء الدين عبد العزيز بن أحمد الدميري الديريني قدس الله روحه ونور

(1) تاريخ الأدب العربي (439/8)، كشف الظنون (1201/2)، هدية العارفين (581/5)، الفهرس الشامل للمخطوطات/ قسم التفسير (344/1).

ضريحه آمين يارب العالمين"، وقد ضُبطت بعض الكلمات بالشكل، والكتاب تفسير لسورة الفاتحة تفسيراً عقدياً على مذهب الأشاعرة والرد على مخالفيهم ممن سماهم المجسمة والحشوية بالإضافة إلى المعتزلة والكرامية وقد صنفه على الأبواب كالتالي :

باب : معنى الحمد ، باب : تقريب الأدلة ، باب في معنى الأذكار الخمسة، باب في الثناء على الله ، باب في قوله الله عز وجل : چ ذ ث ث چ [1]، وجعل تحته فصلاً، باب في معنى العظمة ، باب في الرد على المعطلين ، باب في أفعال العباد وذكر الشريعة والحقيقة ، ثم أشار إلى أن علم أصول الدين كله في أربعة أبواب (الباب الأول في الصفات ، والباب الثاني في ذكر أفعال العباد ، والباب الثالث: في ذكر الجزاء يوم القيامة، والباب الرابع في ذكر الإمامة)، ثم ذكر تحتها فصلا ، ثم باب في الكلام ، باب التوحيد، الباب الثالث: في أحكام الآخرة، الباب الرابع في النبوات، وذكر تحته خمسة من الفصول، ثم باب في ثمرات المعارف".

ويظهر أنه في كتابه هذا شن على مخالفيه ببعض العبارة خلافا لمنهجه في الكفاية؛ كقوله عن من سماهم الحشوية[2]: " فمذهبهم جهل وتناقض لا يخفى على عاقل، إلا أنهم لا يعرفون ما يترتب على مقالاتهم "[3].

ومع أنه مفتتح بتفسير سورة الفاتحة، ومعنون له بهذا فلا تكاد تجد من التفسير مايوحي به عنوانه ولا هو مرتبط بآيات الفاتحة ارتباطا واضحا وإنما هو كلام محض في الاعتقاد على منهج الأشاعرة، إلا إن كان يريد أن كلامه كله يعود إلى معاني (الحمد لله)

([1]) سورة الشورى ، آية (11).

([2]) يريد أهل السنة.

([3]) المخطوط لوح رقم (30) .

وأنها افتتحت بها فاتحة الكتاب فهذا يُلاحظ في ختام المخطوطة حيث يقول : " فهذا ما تيسر من الإشارات إلى معاني (الحمد لله) ونسأل الله تعالى أن يرزقنا مما رزق أولياه فوق مالا تصل إليه آمالنا، ويسامحنا في الكلام فيما لا تبلغ إليه أحوالنا ، إنه حميد مجيد فعال لما يريد، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم ، تم الكتاب المبارك في نسخة مكتوب فيها إنها نسخة من شيخه بخط المصنف ﷺ ، وتأريخ المنسوخ منها هذه النسخة شهر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة ، ووافق فراغ هذه النسخة سلخ سفر سنة أربعين وسبعمائة " .

والكتاب لم يحقق بعد ولدي منه نسخة

المطلب الرابع : الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي

وهي أرجوزة مخطوطة في ثلاثة ألواح، بخط مشرقي واضح ومقروء، احتوى كل لوح منها على ثلاثة وثلاثين بيتا إلا الثالث فلم يستغرق اللوح كاملا وجاء فيه واحد وعشرون بيتا متممة لسبعة وثمانين هي عدد أبيات الأرجوزة كاملة، وقد كتبها قبل كتابه (التنبيهات الحسان في معنى الإحسان) ،لأنه أحال عليها هناك[1] وقد جاء في أولها :

سبحان من بين بالتنزيل	مواقع التجويد والترتيل
فاعتبر النطق بميزان وفي	تسلم من اللحن الجلي والخفي
أول ما تأتي بباء البسملة	سريعة خفيفة مسهلة
أسرع بها واحذر من التشديد	فشد ما يفضي إلى المقصود
وهكذا أل إن تأت بعد ساكن	وبعد إخفاء وقلبك أمِّنِ
بعد إليهم وقال اعلم بما	في مذهب السوسي ضاهى المدغما
وأحرف القلقلة المشهورة	في قطب جد قد أتت معمورة

(1) المخطوط لوح رقم (9).

وقال في خاتمتها :

يا خير مولى قلب القلوبا	منا وأصلح واغفر الذنوبا
وصل يارب على الرسول	مُحَمَّد ذي المنصب الجليل
وآله وصحبه ومن تبع	هداهم يا خير مدعو سمع
فجُدْ على عُبيدك الديريني	عبد العزيز الوجل المسكين
بالعفو منك وشمول المغفرة	فأنت أهل لقبول المعذرة

وهي لم تزل مخطوطة ولم أقف على تحقيق لها ، وهي موجودة في مكتبة مكة المكرمة العامة رقم (1/118)[1]، وعندي صورة منها .

(1) الضوء اللامع(262/10)، هدية العارفين(581/5)، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ص(419) ، قاعدة بيانات قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

المطلب الخامس : الفرق بين الدال والذال ، والفرق بين التاء والثاء .

وهو نظم سرد فيه الألفاظ ذات الذال وذات الثاء الواردة في القرآن الكريم وبين معانيها باختصار ، وهو مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم(7026)[1]، وقد عثرت عليه في المكتبة العامة بمكة المكرمة في آخر مخطوط (الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي) الذي تحدثت عنه آنفاً ، وهو تحت رقم (1/118) وقد عنون لها : (بيان الذال المعجمة والمهملة والثاء المثلثة وغيرها)، وهو عبارة عن منظومتين منفصلتين الأولى في لوح واحد ، وعدد أبياتها تسعة وعشرون بيتاً ، ومطلعها :

يقول راجي المستعان الصمد عبدالعزيز الحامد بن مُحَمَّد

هذا بيان الذال ثم الثاء محرراً لفظاً بلا إحصاء

احفظ هديت أحرفاً بالذال معجمة حقاً بلا إشكال

والثانية أتت بعدها مباشرة مفصولة بعنوان جديد : (الثاء المعجمة) في أقل من لوح، وعدد أبياتها اثنان وعشرون بيتا بيتاً ، ومطلعها :

احفظ حروفاً عرفت بالثاء ذات ثلاث قل بلا مراء

ويلاحظ أنه أشار في العنوان إلى غير الذال والثاء عند قوله (وغيرها) ولعله يريد ماختم به المنظومة حيث يقول :

وأحرف بنقطتين تتلى تم من التمام فاعرف أصلا

والتفت الأول بالإهمال والثاني معجم بلا إشكال

وبت في القطع بنقطتين عتوا من الكبر بغير مين

([1]) تاريخ الأدب العربي(439/8).

وتقرأ التبار والتتبيرا بنقطتين كن بها خبيرا

واجتنبوا والمجتبين من ينقاد بطاعة الله انجلا المراد [1]

وهذه المنظومة لم تحقق بعد وعندي منها نسخة، وخطها مشرقي واضح.

وبهذا البيت يكون ختم هذه المنظومة، قال الناسخ بعده:"وله أيضاً رحمه الله تعالى".

المطلب السادس : التنبيهات الحسان في معاني الإحسان .

وهو مخطوط مبتور من آخره في النسخة التي وقفت عليها في المكتبة العامة بمكة المكرمة في آخر مخطوط الميزان الوفي تحت رقم (1/118) ولدي من أوله عشرة ألواح في كل لوح صفحتان ، وفي كل صفحة سبعة عشر سطرا بخط مشرقي مقروء، وجاء في أوله: "كتاب التنبيهات الحسان في معنى الإحسان ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم ، الحمد لله الذي يورد بذكره قلوب أوليائه ، فعظموه بنعيمه أسراره أصفيائه ، ودبر بحكمته وأمره ملكوت أرضه وسمايه ، أحمده على ماعلمنا من أسمايه ، وألهمنا من حسن ثنايه وأسبغ علينا من جميل عطايه ، وهدانا إلى الإيمان به والنظر في آلايه ، وشرفنا باتباع مُحَمَّد خاتم رسله وأنبايه ، وسيد أصفيائه وأحبايه .. **إلى أن قال** قال الله تعالى : ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[2] ، وقال تعالى : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[3]، وفي الصحيحن عن رسول الله ﷺ : " أنه قال : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك من حيث لاتراه"، اعلم أن الله قريب من جميع خلقه بعلمه وإحاطته ،

(1) وفي شطر هذا الأول خلل في الميزان العروضي وهو هكذا في المخطوط فالله أعلم .

(2) سورة الرحمن ، آية (60).

(3) سورة المائدة ، آية (93).

وهو معكم أينما كنتم وهو سبحانه وتعالى قريب من المؤمنين بتأييده ونصره وأن الله تعالى مع المؤمنين وهو تعالى قريب من الذاكرين يكشف حجب الغفلة عن قلبوهم..".

وهو من خلال عنوان هذا المخطوط وبعض الذي عرضته منه وما بقي منه مما اطلعت عليه يتكلم عن حقيقة الإحسان وتعريفه والامتثال به لله سبحانه من خلال الوضوء وأفعاله وأذكاره ثم انتقل إلى الصلاة ومايجب فيها من الخشوع والتفكير في ألفاظ أذكارها وحركاتها وتحسين القراءة وتجنب اللحن ومعرفة الإعراب وغير ذلك مما هو متعلق بتزكية النفوس وترقيق القلوب لعلام الغيوب.

المطلب السابع : الزوائد على مذهب الإمام أبي عمرو البصري[1]

وهو نظم مخطوط في لوح واحد جاء من خمسة عشر بيتاً ، جاءت بعد منظومة عنوانها (درة القارئ) حيث جاء في آخرها :

سميتها درة القارئ ونسبتها بحر البسيط فزنها واختبر تبن

ثم الصلاة على المختار من مضر ماغردت صادحات الطير في فنن

ثم قال الناسخ بعد ذكره لتأريخ النهاية منها: "يلي ذلك الزوايد لأبي عمرو البصري، تأليف الإمام العلامة عبد العزيز الديريني ﷺ :

إذا شئت أن تبغي الزوائد يا مقرئ على مذهب الحبر الإمام أبي عمرو

فدونك ستاً مع ثلاثين موضعاً مسهلة بالنظم عن ثقل النثر

(1) الإمام أبو عمرو البصري : أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي البصري ، اسمه زبان على الأصح ، وقيل : العريان ، وقيل : يحيى ، وقيل غير ذلك ، وإليه انتهت الإمامة في القراءة في البصرة ، ولد سنة(68هـ)، ومات سنة(154هـ). معرفة القراء(100/1)، غاية النهاية(288/1).

وقد ذكر فيه الأحرف الزوائد وحكمها من حيث الإثبات والحذف .

وقد ختمها بقوله : "

وأكرمنِ مع قد هدانن بعده وحذفها في الوصل جدَّ بك المقري

عن الشاطبي الحبر خذ هاك نقله رواه لنا عن من رواه عن البصري"

وجاء بعده في المخطوط قول الناسخ : " تم ذلك والحمد لله وحده رحم الله مؤلفه وقاريه وكاتبه وسامعه آمين ، في الوقف على سورة الفاتحة نظم الفقيه إبراهيم الكركي الشافعي :

الحمد لله على التوفيق حمدا كثيرا دايم التحقيق

ثم الصلاة والسلام السرمدي على النبي المصطفى مُحَمَّد

وهو مخطوط في ورقة واحدة ضمن مجموع مخطوطات محفوظة في المكتبة المركزية في جامعة الملك سعود ، رقم (95/2) [2827م/3][1]، وعندي صورة منه.

هذا ماتيسر الوقوف عليه من جهوده رحمه الله في التفسير وعلوم القرآن والتي تنتظر الباحثين ليخرجوها للناس ، وأما جهوده الآتية فهي متعلقة بالتفسير وعلوم القرآن كذلك ولم آلُ جهدا . فيما يخص المذكور في فهارس المخطوطات . في الوقوف على المكتبة الأزهرية ومكتبة التيمورية ، وفي دار الكتب المصرية غير أني لم أقف عليها ولم تك الأرقام دقيقة ولا قريبة وظللت في متاهة بين المدون في الفهارس وبين الفهرسة الحالية لتلك المكتبات ،ثم طفقت إلى معهد المخطوطات في القاهرة لعلي أظفر بشي منها فلم أجد وأفادوني أنها في حكم المفقود فالله أعلم .

(1) قاعدة بيانات قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

وحسبي هاهنا سردها لتبقى قيد البحث لمن ظفر بها :

1 - المصباح المنير في علم التفسير ، في مجلدين ، وقد ذكره غير واحد ممن ترجم له[1].

2 -تفسير غريب مشكل القرآن ، وهو مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة قاريونس، تحت رقم (1608/33/1)[2]، وقد اطلعت عليه فإذا هو مخطوط التيسير في التفسير.

3 -تفسير سورة الفاتحة ، مخطوط جاء في تاريخ الأدب العربي أنه ألفه بعد الأنوار الواضحة[3].

4 -ظاءات القرآن ، وهو عبارة عن قصيدة في الظاءات وشرحها ، وهو مطبوع بتحقيق د.مُحَمَّد عثمان يوسف ، نشرته مكتبة الآداب، القاهرة، عام (1992م) في مجلد واحد[4].

5 -شرح الشاطبية[5].

6 -وجوه (كلا) في القرآن ، وهو عبارة عن أرجوزة ، وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ، المنصورة ، تحت رقم(32/2)[6].

7 -منظومة في التجويد، وهو مخطوط محفوظ في مكتبة تشستربيتي، دبلن، تحت رقم (6/3849)[7].

([1]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (182/2)، طبقات المفسرين للداودي ص(215)، طبقات المفسرين للأدنهوي ص(256)، شذرات الذهب (450/5)، هدية العارفين(581/5)، معجم المؤلفين(157/2).

([2]) الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التفسير(345/1).

([3]) تاريخ الأدب العربي(439/8).

([4]) الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التجويد (101/1-102).

([5]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([6]) الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التجويد (101/1-102).

([7]) الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التجويد (101/1-102).

8 -رسالة في مخارج الحروف ، وهو مخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية، القاهرة ، رقم (145مجاميع 21/1)[1].

9 -نظائر القرآن ، وهو عبارة عن أرجوزة في أربعمائة وثمانين بيتاً[2].

10 - المكي والمدني ، وقد ذكره السيوطي[3].

11 - أرباع القرآن ، وهو عبارة عن منظومة ، وهو مخطوط محفوظ في التيمورية، في مجموعة في التفسير في (273ص)، تحت رقم(167/141/1)[4].

12 - ترتيب نزول القرآن العظيم ، وهو عبارة عن منظومة ، وهو مخطوط محفوظ في التيمورية، تحت رقم(352/149/1)[5].

13 - سور القرآن وكيف أوحيت ، وهو عبارة عن (33) بيتاً من الرجز ، مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم (7/466)[6].

14 - مرسوم الخط ، وهو عبارة عن منظومة رائية في رسم المصحف ، ذكرها السخاوي[7].

15 - مشكل القرآن ، وقد ذكره المؤلف ضمن ذكره لبعض مصنفاته في نهاية إحدى نسخ

([1]) تاريخ الأدب العربي(440/8)، الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التجويد (101/1-102).

([2]) ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديربني ، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (ل91).

([3]) الإتقان في علوم القرآن(43/1).

([4]) الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التفسير (346/1).

([5]) الفهرس الشامل للمخطوطات / قسم التفسير (346/1).

([6]) تاريخ الأدب العربي (439/8).

([7]) الضوء اللامع (108/3).

كتابه التيسير[1].

16 - الفرق بين الضاد والظاء ، وهي أرجوزة ذكرها السخاوي[2].

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد طوت الصفحات السابقة مآثرا لعالم من علماء هذه الأمة الذين أضافوا على مكتبتها كتبا من علوم شتى ، وقد كان أبو مُحَمَّد الديريني المتفنن المتنقل في عامة الديار المصرية المتصوف الشافعي المذهب ترك علما غزيرا لم يزل حبيس المخطوطات إن لم يك شيء منها صار في حكم المفقود ، وقد تنقلت في هذا البحث بين أفانين شخصيته ، وغزير علمه وتعدد مواهبه ، وكان من أهم مايخلص به البحث بعض النتائج :

أولاً: تعدد مواهب الديريني ككونه عالما ومتصوفا وأشعريا وشاعرا ومتنقلا في ديار مصر جعلت منه متنوع العلم أديب العبارة متفنن في تأليف علمه بين النثر والنظم من خلال ولاءات متعددة فهو أشعري الاعتقاد شافعي المذهب ، متصوف فتجده يكتب وينظم مغذيا كل أولائك الاتجاهات وهذا سبب تنوعه وتفننه .

ثانيا: كتابه الكفاية أفاد عن تأمله للقرآن أربعين سنة ثم شرع فيه وهو وإن أشار إلى اختصاره لكتاب الهداية لمكي بن أبي طالب فقد ترك فيه أثره وشخصيته المتعددة ولم يك يتقيد بعبارة الهداية مطلقا .

ثالثاً: سبق الديريني العلماء قاطبة إلى نظم معاني كلام الله سبحانه وتعالى في أرجوزة من خلال كتابه (التيسير في التفسير) وقد بلغت ثلاثة آلاف ومائتين وستة وأربعين بيتاً ،

([1]) مخطوط التيسير في التفسير ، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)،(ل 117)، معجم المؤلفين(157/2).

([2]) الضوء اللامع(121/1).

فهي بهذا – حسب علمي – أول نظم لتفسير القرآن الكريم .

رابعاً: عناية الديريني بالقرآن الكريم جاءت متنوعة فهو المفسر والناظم في التفسير وعالم التجويد والقراءة ويبرز هذا المعنى من خلال منظومة (الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي) ومنظومة (زوائد أبي عمرو البصري) فالأولى في التجويد والثانية في القراءات .

خامسا: ثناء أبي حيان وابن تيمية على مثل هذا العلم ، ثم الوقوف على الكثير من مؤلفاته المفقودة يجعل الحاجة ملحة لبذل جهد أكثر للوقوف على آثاره .

سادسا: حسب الباحث الذي يتطلع إلى الترقية من خلال مثل هذا البحث أن يقتنص مخطوطة واحدة ويحققها ولكن لفت النظر إلى موروث هذا العلم وما يفتقر إليه ميراثه أحرى هدفا ، وأصدق بذلا، وأكثر نفعا .

سابعاً: من خلال النتيجة السابقة يوصي الباحث أن ينتبذ لعامة الجهود جهوداً من طلاب العلم المعاصرين ففريق في اقتفاء المفقود الذي لم يهتدَ إليه بعد ، وفريق في إخراج الموجود الذي تمت الإشارة إليه ليكون بين يدي طالبيه ، وليأمن أن تطاله يد الفقد كحال الكثير من موروثنا الإسلامي .

هذا وما كان فيه من صواب فهو من الله وما كان فيه من خلل فهو مني ومن الشيطان وأنا بهذا قمن وأستغفر الله .